دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية: القصر القديم بمدينة الأغواط
المصدر:	مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
الناشر:	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة
المؤلف الرئيسي:	قناطي، نجاة
مؤلفين آخرين:	بوناب، حنان(معد)
المجلد/العدد:	ع22
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	مارس
الصفحات:	35 - 42
رقم MD:	754931
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	العمران ، مدينة الأغواط ، الصحراء ، الجزائر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/754931

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد خاص بلملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية– تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية –

الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية
القصر القديم بمدينة الأغواط

نجاة قناطي

حنان بوناب

جامعة قسنطينة ٢ (الجزائر)

ملخص:

ترتبط الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية بمفهوم العمارة الأصيلة التي تمثل خاصية فريدة ومتميزة حيث أن العمران الذي يعتبر كثقافة مادية يشمل على خصائص التغير والانتشار والانتقال كما تعتبر خصوصية العمران بوصفه إذا ما كان أصيلا يرتبط بهوية مستعمليه أو هو نتاج تهجين أو تدخل لثقافات عمرانية خارجية، مما يعني أن العمران لا يمكن اعتباره أصيلا بكامله، وقد يكون العمران المعاصر أصيلا في بعض المجتمعات المبدعة كمدينة غرداية.

فالعمران بالمدينة الصحراوية يملك طابعا أصيلا وذاكرة غنية من خلال القصور والمدن التي شكلت أنوية المدن الحديثة والتي تطورت انطلاقا منها في ظروف تاريخية مختلفة، لطالما أنشئ وتنظم هذا العمران على أساس من التناغم البيئي والاجتماعي كون القصر التقليدي أو المدينة التاريخية هي في الواقع نتائج مراعاة الظروف البيئية الصحراوية وأيضا تمثيل لصورة تنظيم اجتماعي وسياسي واقتصادي لسكانها.

كما يرتبط العمران القديم في المدن الصحراوية بمفهوم التراث المعماري الذي يتعلق بما هو باق من الزمن الماضي لثقافة الشعوب سواء تعلق بالجانب المادي أو اللامادي، إذ يشكل التراث المعماري أهمية بالغة لدى الشعوب الحية سواء تعلق ذلك بمراكز عمرانية كاملة أو منها بعض المباني أو المعالم المنفردة، حيث عملت الحكومات عبر مختلف العصور على حماية التراث المعماري من خلال سنها لقوانين وتشريعات وقيامها بإجراءات الحماية.

الكلمات المفتاحية: الهوية العمرانية، المدينة الصحراوية، القصور، المدينة القديمة، التراث المعماري، الأصالة والمعاصرة.

Summary:

Urban identity linked to the desert city of the concept of authentic architecture that represents a distinct unique property and, as urbanization, which is a material as a culture includes the characteristics of change and non-proliferation and moving, as is the privacy of urbanization as if they were an integral associated with the identity of its users, or is the result of hybridization or interference of cultures Foreign urban, which means that urbanization cannot be regarded as an integral whole, and contemporary urbanism may be inherent in some of the creative community as a city of Ghardaia.

Valamran desert city has the character an authentic and rich memory through the palaces and cities that formed the nuclei of modern cities, which evolved out of them in different historical circumstances, for as long established and organize this urbanization on the basis of environmental harmony and social fact that traditional or historical city is the palace in Indeed, the results of the desert into account the environmental conditions and also the representation of the image of social organization and political and economic population.

The old urbanism is also associated in the desert to the concept of architectural heritage which relates to what is remaining of the last time to the culture of the people, both attached to the physical side or immaterial cities, it is an architectural heritage of great importance to the living peoples, whether attached to the centers of urban complete or from some of the buildings

or monuments individual, where she worked as governments across the ages to protect the architectural heritage through the enactment of laws and legislation and its protection procedures.

Key words: Identity urban, desert city, the ancient city, architectural heritage, authenticity and contemporary.

مقدمة:

تعتبر القصور في المناطق الصحراوية الجزائرية نموذجا لا يزال يحافظ على خصائص عمرانية واجتماعية وثقافية تعبر عن حياة سكانها الذين يحافظون على وسائل الحياة البسيطة التي تكفل لها الانسجام والتفاعل الاجتماعي، إضافة إلى ما يملكه العمران القديم للقصور من تناغم بيئي كونه يمثل نموذج من التصميمات الهندسية التي تتماشى مع ظروف حياة البيئة الصحراوية، كما انه يحمل طابعا أصيلا يرتبط بهوية مستعمليه ولذلك يجب المحافظة على العمران القديم بالمدينة الصحراوية وذلك من خلال القوانين وإجراءات الحماية وقد تناولنا في هذه المداخلة المحاور التالية:

١. خصائص المدينة الصحراوية القديمة.
٢. المشكلات المتعلقة بالتخطيط العمراني القديم في المدينة الصحراوية.
٣. دور القوانين والتشريعات في حماية التراث المعماري للمدينة الصحراوية.

خصائص المدينة الصحراوية "الأغواط" القديمة:

الخصائص الطبيعية: تقع المدينة القديمة في الجزء الشمالي من مدينة الأغواط، يحدها من الشمال الواحات الشمالية ومن الجنوب الواحات الجنوبية، من الغرب حي العمورة ومن الشرق واد مزي، تقدر مساحتها بـ ٣٥،٥ هآ، وتتموضع المدينة على هضبة تيزيقرارين، يسودها مناخ بارد شتاءً وحار وجاف صيفا، فقد كان للمناخ والطبيعة المحيطة أثرها الفعال في تخطيط المنازل (طاهري ٢٠٠٩ ص ص، ١١ ١٧) وقد بلغ عدد سكان المدينة القديمة سنة ٢٠٠٧ حوالي ٢٤٨٢ نسمة (مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية الأغواط)

الخصائص العمرانية: تعتبر المدينة القديمة النواة الأولى لنشأة مدينة الأغواط، فهي تمزج بين الطابع التقليدي القديم والطابع الأوروبي مما أدى إلى اختلاف واضح بين هذين النسيجين من حيث طراز المبنى وكذا توضعها داخل المجال.

الطابع التقليدي القديم (القصر): لم تشر المصادر التاريخية إلى نشأة هذا القصر، لكن الراجح أن تكون القبائل البربرية التي استقرت بهذه المنطقة منذ وقت مبكر قد شيدت بمكانه بنايات تخزن بها منتجاتها وتأوي إليها عند الضرورة.[١]

يتكون القصر من عدة منازل تتموضع بشكل تتابعي ومتداخل تمتاز بالبساطة، فهي تخلو من جميع مظاهر الترف والزخرفة وتستجيب لمقتضيات البيئة الموجودة بها، وتتكون البيوت في القصر من طابق أو طابقين، كما يحتوي القصر على ساحة وسطى التي تعتبر نقطة التقاء الأزقة وتسيير المرور وهي المكان الذي يستلهم منه ضوء النهار، إضافة إلى مسالك وممرات يكون توجهها من الشمال إلى الجنوب لتفادي تعرضها وتعرض مداخل البيوت على أشعة الشمس.

تشمل الشوارع الرئيسية مكان اتصال بالوحدات الرئيسية للقصر كالمداخل ورحبة الحجاج والسوق، يكون عرضها بمقدار استيعاب جمل واحد محمل، أما بالنسبة للطرق الثانوية فينحصر دورها في التنقل من الطرق الرئيسية إلى الدروب أو الأزقة ولذلك فإن اتساعها يكون اقل من الأولى، أما بالنسبة للواجهات العمرانية فهي مطلة على شارع زقاق الحجاج وهي تخلو من أي عنصر زخرفي ماعدا بعض العناصر الرمزية تعلو عقب الأبواب، كما توجد بها بعض الفتحات والنوافذ والباب الخارجي المؤدي داخل البيت وثقب المزاريب الخاصة بتصريف مياه الأمطار.

---

[١] علي حملاوي " نماذج من قصور منطقة الأغواط : دراسة تاريخية وأثرية"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، ٢٠٠٦، ص ٨٨.

أما بالنسبة للمحيط الداخلي للمسكن بالقصر فيتكون مما يلي:

- **المداخل:** مداخل الدور الأول في القصر القديم محورية، ثم تحولت إلى النظام المنكسر حيث يسمح هذا النظام بترك الباب مفتوحا طوال النهار لخلق تيار هوائي بينه وبين الفناء، تصنع الأبواب من جذوع النخيل تمتاز بانخفاض ارتفاعها، حيث تتناسب ودخول حمار محمل، كما أن أبواب الدور المفتوحة بالشوارع أو الدروب لم تكن متقابلة مع بعضها البعض مراعاة لحرمة من بداخلها، وهي ميزة استمدت أصولها من أحكام الشريعة الإسلامية الداعية إلى حرية الفرد بالمجتمع دون الإخلال بالنظام العام[٢].
- **السقيفة:** يؤدي المدخل إلى السقيفة التي تؤدي بدورها إلى وسط الدار وأحيانا تنحصر في جدار منخفض يحول بين رؤية الناظر ووسط الدار، والسقيفة هي إحدى المكونات الأساسية للبيت فهي تحافظ على أسراره، كما تعد نقطة انتقال بين المحيط الخارجي والداخلي للمسكن[٣].
- **الفناء (وسط الدار):** يشكل الفناء فضاء واسعا ومريحا للحركة والنشاط لأهل الدار فهو المكان المفضل للمرأة لإنجاز بعض أعمالها اليومية، كما يعتبر مكانا لتجمع أفراد الأسرة ولعب الأطفال، وعادة ما يحيط بالسقف على جنباته والصحن المكشوف، وهو الميزة الرئيسية للمسكن الإسلامي[٤].
- **الأروقة:** أحيط بالفناء من الجهتين أو الأربع جهات أروقة ذات فتوحات متسعة تساعد على تلطيف الجو والتقليل من حدة أشعة الشمس وتؤكد الدراسات العلمية أنه كلما زاد اتساع الفتوحات التي تدخل منها الهواء، وضاق مخرجه كلما زادت نسبة تهوية المبنى وإذا حدث العكس فإن تهوية المبنى تقل، وعلى هذا الأساس فإن الملاحظ بالقصر القديم يدرك أن معظم الفتوحات المتمثلة في الفناء والأروقة وأبواب الغرف والمخرج الرئيسي تسمح باستغلال قدر كبير من التيار الهوائي، ويخلق بها جو من البرودة وزيادة على ذلك فإن الأروقة لها دور معماري، حيث اتخذت بمثابة الحامل الذي يقوم عليه ممر الطابق العلوي وسقفه أيضا.
- **الغرف:** تتوزع الغرف حول وسط الدار وتمتاز ببساطتها واستطالتها وضيقها وعملية التسقيف يعتمد فيها غالبا على وسائل محلية لا يتجاوز طولها المترين والنصف كخشب النخيل أو شجر العرعار، كما تمتاز الغرف بعد موجود زوايا قائمة بها، وعدم استقامة جدرانها، ويعود ذلك إلى عدم انتظام البيت بصفة عامة وتخلو الغرف من الفتوحات باستثناء باب المدخل[٥].
- **المطبخ:** وهو عبارة عن غرفة صغيرة غالبا ما تكون مستطيلة الشكل، تطل على الفناء وغالبا ما يكون مزود بموقد في ركن من أركانه للطهي ويراعى في تحديد هذا الموقد مبدأ دفع الضرر وحفظ الجوار وعادة ما يكون المطبخ في الطابق العلوي كفضاء مستقل[٦].
- **الملحقات الصحية:** تقع المراحيض في أماكن معزولة عن جناح المعيشة ومحجوبة عن الأنظار، أما من حيث شكلها فأغلبها تطل على الشارع.
- **السطح:** يقع وسط الدار في الطابق الأرضي، غير مفتوح أساسا على الخارج باستثناء فتحة على شباك أفقي، ومع قلة الغرف ومحدودية المساحة المغطاة في الطابق العلوي، فإن ذلك يوفر فضاء كبيرا مكشوفا يستغل على مدار السنة، لأهميته، وازدواجية

---

[٢]علي حملاوي " مرجع سابق" ص ٢٤٤ .

[٣]علي حملاوي " مرجع سابق" ص ٢٤٥ .

[٤]بن قربة " أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته" دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر. ٢٠١١، ص ٤٧٦ .

[٥]علي حملاوي " مرجع سابق" ص ٢٤٨.

[٦]بن قربة " مرجع سابق " ص ص ٤٨١-٤٨٢.

الاستعمال، كمجال للخدمات خلال فصل الشتاء نهارا وفضاء مناسبا لاجتماع الأسرة في الصيف ليلا للمسامرة والنوم معا، أما في النهار فيستغل أساسا لتجفيف المواد الغذائية وتخزينها لفصل الشتاء[٧]، ويربط السطح بدرج يحشر دائما في الزاوية ويحتل فضاء صغير جدا وتكون أدراجه تتراوح ما بين ٢٠ و٢٥سم وعددها ما بين ٨ إلى ١٠ درجات ونلاحظ أحيانا وجود درجين في المنزل أحدهما يكون مرتبط مباشرة بالسقيفة من أجل تجنب وسط الدار خاص بالضيوف والثاني مخصص للعائلة.

الطابع الأوروبي: خلال الفترة الأولى من الاستعمار ١٨٥٢ _ ١٩٠٠ نشأ المركز الأوروبي بشكل منظم وبنمط موحد، حيث يتكون هذا النمط من بنايات ذات طابع أوروبي يصل ارتفاعها إلى طابقين سواء كانت مخصصة للسكن أو للإدارة، حيث تكون المساحات المبنية متوازية ومتراصة على طول الطريق تخضع إلى تخطيط شطرنجي، أما بالنسبة للمجالات الحرة، فيوجد بشارع عميروش رحبة الزيتونة، التي تقع وسط المجال مقابل مركز الشرطة ومديرية السياحة وهي غير مهيأة لجذب السكان نحوها حيث تنعدم بها النشاطات الترفيهية إذ أصبحت منطقة عبور، إضافة إلى الحديقة العمومية، فهي تقع غرب مجال الدراسة لها شكل هندسي مستطيل بها أربعة مداخل وهي مهيأة مما جعلها تشهد حركة مستمرة خاصة كبار السن.

أما بالنسبة للواجهات العمرانية فإن توضع الكتل المبنية وتراصها بصورة خطية على طول استقامة شارع عميروش أعطت صورة عمرانية جميلة حيث تنظم الواجهات العمرانية للبنيات ويتميز شارع عميروش بوجود عناصر جمالية مثل الشرفات، الأقواس المغطاة الحاملة للواجهات والتي أعطت ميزة خاصة لشريان المدينة.

الخصائص الاجتماعية والثقافية:

- **التماسك وعلاقات القرابة**: تمتاز العلاقات الاجتماعية في المجتمع التقليدي الصحراوي بالتماسك إذ يرتبط الأفراد أو الجماعات بعضهم البعض ارتباطا وثيقا على الرغم من التوزيع المكاني حيث نجد مثلا قبيلة واحدة تنقسم إلى وحدات قرابية، ويجمع البناء القرابي بين علاقات القرابة وعلاقات المصاهرة، كذلك تشكل الجهات الأصلية مكان إقامة تلك الجماعات حيث تشغل كل جماعة جهة من تلك الجهات، ويعكس ذلك مجموعة من الروابط والالتزامات المتبادلة، فيعكس التكتل السكني المكاني مبدأ القرابة ويشير تجاوز المساكن وتباعدها إلى الإبعاد المكانية والاجتماعية بين أعضاء الجماعة القرابية في المنطقة السكنية، وتخطط المنطقة بكل عناصرها وكأنها مسكن واحد للحماية.[٨]
- **الشعور بالانتماء**: ويعتبر الشعور بالانتماء من خصائص المجتمع التقليدي الصحراوي حيث يقول رالف لينتون في تأكيد أهمية الشعور الفاعل في تشكيل المجتمع التقليدي المبني على أساس قبلي يقول: "أن القبيلة في أبسط أشكالها جماعة من الزمر أو العصب تحتل أرضا متجاورة ليهم شعور بالوحدة والانتماء، ناتج عن أوجه الشبه العديدة في ثقافتهم والاتصالات الودية والمصالح المشتركة وقد يكون لديهم تنظيم قبلي رسمي يتفاوت في تفاصيله" وهذه الوحدة المشار إليها ليست شيئا جمدا بل مشاعر قوية تكون مانعا لأي تغيير طارئ مكونة نسق من العلاقات الاجتماعية.
- **الخصوصية**: الخصوصية هي احدي صفات المجتمع التقليدي الصحراوي وانعكس ذلك على تعدد المداخل لتحصين الخصوصية والحماية والفصل بين حجرة استقبال الضيف والفناء _حيث الأنشطة المختلفة لأهل البيت _ بمساحة تسمى صحن البيت. وكذا احترام خصوصية الجار في وضع أبواب المنازل بحيث يراعى ألا يفتح بابان متقابلان تماما في شارع واحد وارتفاع منسوب جلسات النوافذ الخارجية واستخدام السطوح المرتفعة لإمكانية الإعاشة والنوم بالليالي وكذلك الأسوار المرتفعة نحو المنازل.

التمسك بالدين: وسلوك التمسك بالدين كان له تأثير على عمارة الصحراء انعكس في التالي:

---

[٧]بن قربة " مرجع سابق " ص ص ٤٨٢-٤٨٣.

[٨]خالد سليم فجال" العمارة والبيئة في المناطق الصحراوية الحارة " ط١، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٩.

- ✓ سيطرة المسجد على التخطيط العام للمدينة.
- ✓ بناء المآذن بدون شرفات حتى لا يكشف سطح المنازل المجاورة.
- ✓ عدم الكتاب على القبور وعدم بناء أي قباب عليها.
- ✓ جاءت الفراغات التي تعقب المداخل ملتوية أو منكسرة.
- احتوت بعض المنازل على فناء داخلي خاص للضيوف، مما يحقق خصوصية أكبر.[٩]

علاقات الجيرة والصداقة: تلعب علاقات الجيرة دورا هاما في بناء المجتمع التقليدي الصحراوي والتي تبحث عن التقارب الفيزيقي للمساكن وضيق المجال الجغرافي وبروز علاقات النسب المبنية على الثقة والنسب وهناك الجوار المكاني والجوار الشخصي ذو الصيغة الاجتماعية وتمتاز بوجود أنماط من الأنشطة الاجتماعية يتبادلها أعضاء الجوار ويصاحب هذه الأنشطة علاقات اجتماعية تتفق مع طبيعة ونوع الروابط التي تسود الجيرة، ويصاحب هذه الأخيرة تجانس يسمح بوجود علاقات اجتماعية تمتاز بإحساس قوي بالشعور الذاتي، أما بالنسبة لعلاقات الصداقة التي تعتبر نوع من الروابط الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد والجماعات التي تتشابه في التفكير والميول والاتجاهات والمصالح الفردية، هذه الصداقة تربط بين الجماعات بحكم الإقامة وهذه الصداقة أخذت حكم الاستمرارية وتسير بين مختلف الفئات العمرية، حيث يعتبر هؤلاء الصداقة جزء من ذاتهم يشاركون في الأفراح والأحزان والمشاكل وتمتد العلاقة بين الزوجات والأزواج مما يتكون عنه شبكة من العلاقات الاجتماعية.

سيادة العرف: قدرة أفراد هذا المجتمع على حل النزاعات والخصومات من خلال العودة إلى ما هو متعارف عليه ومتوارث منذ القدم والاعتماد على الحل الودي بالرجوع إلى كبار السن وولاة الأمور وغياب الضبط الاجتماعي نظرا للافتقار إلى سلطة مركزية واعتماد المجهود الفردي دون انتظار السلطة المركزية لمواجهة مشاكلهم.[١٠]

سيادة القيم: يوجد في كل مجتمع نسق من القيم التي تلقي نوعا من الاستجابة بقصد تحقيق التماسك بين الأفراد بل يمكن لها تحقيق التجانس إذ أنها ملتقى السلوك ووسيلة من وسائل تنظيمه وتحقيق الضبط الاجتماعي والامتثال للقيم ويعتبر الدين من أهم النظر لتحقيق الضبط الاجتماعي ويلعب دورا هاما في المجتمع التقليدي ويمتد تأثيره إلى الحياة الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية حيث يتميز أفراد هذا المجتمع بإيمانهم العميق بالقضاء والقدر وانصياعهم التام وتطبيقها في الحياة اليومية.

- **انتشار العادات والتقاليد:** التقاليد هو كل شيء موروث وله جذور في التاريخ سواء كان مادي أو معنوي والتقاليد هي المحافظة على طبيعة القيم الثقافية والمادية والتقاليد هي " نزعة ترمي إلى الحفاظ على المكاسب الماضية والاعتماد على ما خلفه الأقدمون وباسمها يبقى على الكثير من النظم والعادات
- **مشكلات تخطيط العمران القديم بالمدينة الصحراوية:** هناك العديد من المشكلات التي تواجه تخطيط العمران بهذه المدينة ويمكن ذكر أهمها:

ما يتعلق باستراتيجية تخطيط العمران القديم: رغم زيادة الاهتمام بالمدينة القديمة إلا أن هناك غياب للسياسات الواضحة في التعامل مع هذا النوع من العمران، وذلك بسبب عدم الاتفاق حول الإجراءات الواجب إتباعها للمحافظة على التراث العمراني، نظرا لما يتميز به هذا الأخير من خصائص معمارية وتاريخية خاصة، إضافة إلى أن الاهتمام بالمحافظة على العمران القديم ما يزال محل اهتمام بعض الجهات المحلية كالبلديات وكذا بعض الهيئات العلمية والثقافية، أين ينحصر انشغالها في الإعلان عن أهمية التراث المعماري والتذكير بتاريخيته وحضارته، وجرد المباني وتوثيقها أو إحاطتها بأسوار دون أن يتعدى ذلك العمل الترميمي والتجديدي.

---

[٩] خالد سليم فجال" مرجع سابق " ص ص.٤٠-٤١

[١٠] محمد حسن توفيق رمزي "كتاب علم السياسة "، دار النهضة العربية. ١٩٥٦، ص ١١١.

- أن ما هو موجود من المواقع العمرانية يتعرض إلى التدهور والتقادم في البنى التحتية والهياكل العمرانية للمدينة القديمة: حيث تتعرض بعض المباني في القصر القديم بالأغواط إلى تشققات من الداخل والخارج منها السقوف والأرضيات والسلالم، وذلك راجع إلى طبيعة المواد المستعملة في البناء كالخشب والطين المجفف، إضافة إلى النسيج العمراني المتلاصق الذي نتج عنه نقص في التهوية والتشمس والإضاءة وزيادة نسبة الرطوبة [١١]، إضافة إلى الجريان الباطني للمياه الناتج عن تسربات شبكات مياه الشرب والمياه المستعملة ومياه الأمطار الذي يكون لها تأثير على البنايات.
- أن العديد من وظائف المدينة القديمة قد تغيرت: إذ أن مدينة الأغواط تعتبر أقرب منطقة صحراوية للجزائر العاصمة وهو ما دفع الاحتلال الفرنسي إلى احتلالها سنة ١٨٥٢م وعمل على تحطيم جزء كبير من المدينة وتحويلها إلى مركز عسكري إداري وذلك ببناء الثكنات العسكرية والمباني الإدارية وتوسيع الطرق وكل ذلك على حساب القصر القديم، فقد عمل الاستعمار الفرنسي على تغيير وظائف المدينة من مدية سكنية تجارية إلى مدينة إدارية عسكرية، كما أن التغيرات التي شهدتها مدينة الأغواط بعد سنة ١٩٦٢م– من ظهور المنطقة الصناعية بو شاكر والتوسع العمراني نتيجة النمو الديموغرافي– أدت إلى توسع المدينة والتخلي عن المدينة القديمة مما زاد من تدهورها، إضافة إلى تغيير في نشاطاتها ووظائفها، كما أن احتكار المدينة لمختلف الوظائف والخدمات أصبح يشكل عائقا أمام تطورها والمحافظة عليها.
- التغيرات على مستوى المساكن: لقد أدى زيادة عدد أفراد الأسرة إلى إحداث توسيع وتعديل على مستوى مساكنها الضيقة مما أدى إلى الإخلال بالتخطيط العام للمدينة القديمة، كما عمد أصحاب المساكن المتهدمة إلى إعادة بناء مساكنهم دون مراعاة تخطيطها وانسجامها مع النسيج العمراني القائم وهو ما أدى إلى تغير الطابع المميز للمدينة القديمة[١٢].
- أن ما تتميز به فيزيولوجية المدينة القديمة من شوارع ضيقة وملتوية أدى إلى صعوبة استعمال الوسائل الجديدة للتنقل، وكذا صعوبة تزويد المباني في المدينة القديمة بالتجهيزات الحديثة وإيصالها بالخدمات.
- التغير الاجتماعي والثقافي لمجتمع المدينة القديمة: غالبا ما تكون أجزاء المدينة القديمة قد شيدت لأجل مصالح واهتمامات وقيم مشتركة، سواء كانت هذه القيم قائمة على الدين أو المهنة أو نوع من الثقافة وغيرها، أما اليوم فإن المجموعة الأصلية التي شيدت الحي تختفي لتحل محلها جماعة أخرى ذات قيم مختلفة بشكل كبير، وهي في كثير من الأحيان لا تعرف قيمة المنطقة التي تشغلها[١٣] حيث فقدت مدينة الأغواط ٦٢٦٨ نسمة خلال ٣٠ سنة، فكان لهجرة السكان الأصليين لقصر ظهور عادات وتقاليد جديدة تؤثر على الهيكل العمراني للمنطقة وخصوصيتها.[١٤]
- غياب أو ضعف أو قلة التشريعات والقوانين المحددة لكيفية التعامل مع الممتلكات الخاصة واستثمارها وتجديدها في المدن القديمة، حيث يمتنع المالكين الخواص عن ترميم مبانيهم طمعا في ترميمها من طرف المستأجر، كما أن البنايات العامة تعرف نوعا من الإهمال بسبب عدم صيانتها لعدة سنوات[١٥].
- غياب أو ضعف أو قلة البرامج الخاصة بتجديد وترميم المدينة القديمة وكذا الجهات المؤهلة لذلك، وكذلك نقص الإمكانيات والموارد الضرورية للمحافظة على العمران القديم في الدول النامية بشكل خاص، حيث أنه من العسير على من يريد الحفاظ

---

[١١]طاهري محمد، ياحي قدور "إشكالية التسيير وحماية التراث المعماري والحضري في القصور الصحراوية: حالة مدينة الأغواط القديمة" رسالة مهندس دولة في التسيير والتقنيات الحضرية، جامعة قسنطينة، الجزائر. ٢٠٠٩ ص ص. ٩٨-٩٩

[١٢]طاهري محمد، ياحي قدور "مرجع سابق" ص ص .٨٢-٨٥

[١٣]صبري فارس الهيتي "التخطيط الحضري" دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ٢٠٠٩. ص .٢٤٧

[١٤]طاهري محمد، ياحي قدور "مرجع سابق" ص. ٢٥

[١٥]طاهري محمد، ياحي قدور "مرجع سابق" ص. ٨٩

على هذا التراث أن ينال مراده في هذه البلدان التي تحتوي على كثير من عناصر التراث العالمي ذات القيمة العالمية والتي لا تمتلك الموارد الكافية لحمل هذا العبء[١٦].

- غالبا لا يكون لدى ساكني هذه المدن القديمة إدراك لمدي الاحترام الذي يكنه آخرون لبنية هذه الأحياء وأهميتها بالنسبة للتراث المعماري، ذلك لأنها لا تشكل بالنسبة لهم إلا مكانا يعيشون ويعملون فيه وليست مكانا يصان ويجب المحافظة عليه لأنه يمثل هوية عمرانية فريدة[١٧].

دوما إلى توفير الوسائل الحديثة والمتطورة من أجل حماية التراث المعماري رغم أن الاستفادة التقنية والعلمية فيما يخص الأدوات المستحدثة في مجال المحافظة والترميم تبقى غير كافية.

دور القوانين والتشريعات في حماية التراث المعماري بالمدينة القديمة: تزخر المدينة القديمة بالعديد من الخصائص التي أعطتها شخصية فريدة ومتميزة ومن ثم يجب المحافظة عليها وتطويرها، ذلك لأنها لا تزال تقدم الكثير من الوظائف ذات الأهمية البالغة كالوظيفة التجارية والحرفية والدينية والسياحية وغيرها، زيادة على أنها تحتوي على عدة معالم ذات قيمة فنية لها دلالتها التاريخية والحضارية والتي تشكل في كثير من الأحيان مواقع سياحية للعديد من الفئات عبر العالم وبذلك تبرز أهميتها الثقافية والاقتصادية، حيث تعتبر بعض المواقع داخل المدينة القديمة من الرموز الوطنية فهي تحدد الهوية والانتماء التاريخي للمجتمع وبالنظر إلى أهمية العمران القديم الذي يعتبر جزءا من ماضي المجتمع وهويته بما يحتويه من مرافق ومنشآت تعكس مدى تطور هذا المجتمع عبر مراحله التاريخية، فقد عملت الدولة الجزائرية على حماية هذا العمران من خلال سياسات خاصة تسعى دوما إلى توفير الراحة والأمان لساكني المدن القديمة وبذلك فقد أصدرت قوانين للحماية كما أحدثت هيئات مكلفة بالإشراف على تطبيق هذه القوانين.

فعلى المستوى الدولي: فإن الجزائر قد كانت سباقة بالانضمام إلى منظمة اليونيسكو الدولية وأليسكو العربية وهي من بين المنظمات التي تولي أهمية كبيرة للمحافظة على الإرث الحضري، حيث كانت الجزائر تسعى دوما إلى توفير الوسائل الحديثة والمتطورة من أجل حماية التراث المعماري رغم أن الاستفادة التقنية والعلمية فيما يخص الأدوات المستحدثة في مجال المحافظة والترميم تبقى غير كافية.

على المستوى الوطني:

مديريات الثقافة: تخضع المواقع الأثرية للتصنيف بقرار من الوزير المكلف عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية ووفقا للإجراءات المنصوص عليها في المواد (١٦– ١٧–١٨)من القانون ٩٨–٠٤ حيث يعد التصنيف أحد إجراءات الحماية النهائية، وتعتبر الممتلكات الثقافية العقارية المصنفة التي يمتلكها خواص قابلة للتنازل، وتحتفظ هذه الممتلكات الثقافية العقارية المصنفة بنتائج التصنيف أيا كانت الجهة التي تنقل إليها ولا ينشأ أي ارتفاق بواسطة اتفاقية على أي ممتلك ثقافي مصنف دون ترخيص من الوزير المكلف بالثقافة، (المادة ١٦ من القانون ٩٨– ٠٤) ومن ثم فإن وزارة الثقافة هي المكلفة نيابة عن وزارة الوصية بحماية وتسيير والمحافظة على المعالم الأثرية.

الدائرة الأثرية: تقوم الدائرة الأثرية بتفويض من الوالي بإجراء جرد أولي للمعالم الأثرية لمدة ١٠ سنوات، وهذا من أجل حماية وتسيير والمحافظة على المعالم الأثرية والتاريخية.

البلديات: وهي تعد إحدى الأطراف الأساسية المشرفة على تطبيق قوانين الحماية وتسيير الممتلكات الأثرية وذلك من خلال مخططي التهيئة والتعمير (PDAU وPOS) حسب القانون ٢٩/٩٠ المؤرخ في ١٩٩٠/١٢/٠١) حيث تعمل البلدية على حماية الارتفاقات والأماكن الأثرية بجميع أنواعها.

---

[١٦]صبري فارس الهيتي " مرجع سابق "ص . ٢٤٨

[١٧]صبري فارس الهيتي " مرجع سابق " ص.٢٤٧

الجمعيات: لقد منح القانون الجزائري ٠٤/٩٨ من خلال المادة ٩١ الحق للجمعيات بأن تسعى لحماية ورعاية التراث الثقافي والمعماري حيث " يمكن لكل جمعية تأسست قانونا وتنص في قانونها الأساسي على حماية الممتلكات الثقافية تنصب نفسها خصما مدعما بالحق المدني فيما يخص مخالفات أحكام القانون"

عمليات تهيئة المدينة القديمة انطلاقا من القوانين المعمول بها:

تتضمن عملية تهيئة المدينة القديمة التدخل على مستوى النسيج الحضري القائم وكذلك الجيوب العمرانية الناتجة عن تهديم البنايات، ومن ثم يستدعي الأمر وضع وسائل قانونية تسمح باحترام قوانين التعمير والعمران، حيث يعتبر القانون ٩٨-٠٤ المؤرخ في ١٥ جوان ١٩٩٨ المتعلق بحماية التراث الثقافي الوسيلة الأكثر نجاعة في هذا المجال على: التسجيل في القائمة الإضافية، التصنيف ومحيط المحافظة، وبالتالي فقد تم جرد كل الممتلكات الموجودة بالمدينة القديمة والعمل على تسجيلها في قائمة الجرد الإضافي على مستوى الولاية في انتظار تصنيفها كتراث وطني، وهو ما يجعل من تدخل الدولة أمر قانوني وواجب. وقد تم تطبيق مجموعة من الآليات لتهيئة المدينة القديمة منها:

تهيئة النسيج الحضري القائم: وهو يعتمد على تطبيق الوسائل والتقنيات الحضرية داخل المجال الحضري من أجل تحسين وتنظيم وظائفه وتطويره حاضرا ومستقبلا، ومن ذلك يمكن إجراء مجموعة من الإصلاحات داخل النسيج الحضري القائم للمدينة القديمة حسب عمليات التهيئة بالاعتماد على المرسوم رقم ٨٣-٦٨٤ والذي يحدد شروط عملية التدخل في المساحة الحضرية الموجودة.

عملية التهذيب: وهي تتمثل في إحداث بعض الإصلاحات على بعض البنايات كإصلاح السلالم والسقوف وطلاء الواجهات وغيرها وذلك بهدف توفير الراحة والأمان وتحقيق الرفاهية للسكان، وتتضمن عملية التهذيب في المدينة القديمة على بعض العمليات الخفيفة كتوفير الشبكات الضرورية وتخصيص حنفية ودورة مياه خاصة لكل مسكن.

عملية الترميم: وهي عملية تسمح بإصلاح مجموعة من المباني ذات القيمة التاريخية أو المعمارية دون المساس بأحكام القانون ٩٨-٠٤ المؤرخ في ١٥ جوان ١٩٩٨ والمتعلق بحماية التراث الثقافي، وقد بلغ نسبة البنايات التي تحتاج إلى ترميم بالمدينة القديمة ٧٧.٢٩%

عملية إعادة التنظيم: وهي تهدف إلى تحسين وضعية المجال وتنظيمه على مستوى جميع مكوناته من سكن وتجهيزات والبنى التحتية ومختلف الوظائف والنشاطات.

عملية إعادة الهيكلة: وهي التدخل على مستوى الطرق ومختلف الشبكات التقنية الأخرى وتوقيع تجهيزات جديدة وكذلك قد تشمل هذه العملية تهديم جزئي لبعض الحصص وتغيير وظيفتها[١٨].

إن العمران القديم بالمدينة الصحراوية أو القصور يلعب دورا مهما في تحديد هوية المجتمع الذي يقطنه نظرا لارتباطه بمجموعة من الخصائص الطبيعية والعمرانية والاجتماعية والثقافية، ومن ثم فهو يمثل ارث حضري وطني يجب المحافظة عليه بالرغم من التحديات التي يواجهها والمشكلات التي تعوق تطويره ومن ذلك يمكننا طرح مجموعة من التوصيات التي تساهم بدورها في ترقية العمران القديم والمحافظة عليه وإعادة تأهيله.

[١٨]طاهري محمد، ياحي قدور "مرجع سابق" ص ص. ١٣٩-١٤١